EPILOGUE

خاتمة

منذ عصر التنوير يحاول العلم والعقل اغتصاب حقوق علوم اللاهوت والوحي في الفصل والحُكم في الحقيقة والمعرفة. ومن خلال التأثير الثقافي القوي للعلم، أصبح العالم كله يُعلّم أن التطور على مر ملايين السنين يمكن شرحه، وأن هذه حقيقة علمية لا يمكن الجدال عليها. والامتثال للواقع أصبح حقيقة تحت الضغط الرهيب، وكونك غير مصدق يجعلك جاهلاً كالأصوليين الذين اعتقدوا في تسطح الأرض. وقد أثرت "الداروينية" والتاريخ الجيولوجي للأرض على كل التخصصات الأكاديمية الرئيسية، ومن ثمّ شكلّت ببطء كل جوانب المجتمع.

معظم المسيحيين لا يقبلون الأفكار "الداروينية" التي تقول إن كل النباتات والحيوانات انحدرت من أصل واحد. أولاً لأن هذا، وبكل بساطة، يتعارض مع نظرية الخلق التي ذكرها الكتاب المقدّس، بل وأيضاً لأن الأدلة العلمية التي تقوم عليها "الداروينية" عندما نوقشت وُجدت ناقصة. ومع ذلك فإن أغلبية المسيحيين الدارسين ومعهم الكثير من القساوسة والشعب العادي قد تقبّلوا فكرة التغييرعبر ملايين السنين. وسبب رئيسي وراء إيمانهم هذا (كثيراً ما يُذكر علانيةً) هو أن جميع الأدلة ذات الصلة تشير وبلا منازع ناحية أرض قديمة أو حتى كون قديم. ويعتقدون تمام الاعتقاد أنه لا تعارض البتة بين التاريخ الجيولوجى للأرض وما جاء في الكتاب المقدّس. ومهما كانت قوة اخلاصهم لهذا المفهوم، فإن هؤلاء يفتحون الأبواب أمام الطلبة الذين يدرسون على أيدي أساتذة من خلفية "داروينية" لقبول نظرية النشوء والإرتقاء (أو التطور). والنتائج أصبحت ملموسة على المستويين الاجتماعي والروحي.

لطالما كانت للأفكار الخطيرة عواقب سلبية، ويتضح هذا من خلال تراجيديا القرن العشرين الذي حصد الكثير من المرارة نتيجة يقظة الفلسفات التي تطبق المبادئ "الداروينية". والأمثلة التى تقشعر لها الأبدان من جراء تداعيات "الداروينية" أكثر من تلك التي خلفتها النازية والشيوعية، التي طبقت المبادئ "الداروينية" بوعي، والتي أثّرت جذرياً في حياة الملايين. إن عالمنا الغربي والذي كان في يوم مستندًا وبقوة على المبادئ اليهودية-المسيحية، أصبح الآن منغمسًا في مرحلة ما بعد المسيحية المتمثلة في عمليات الإجهاض القائمة على تحديد الجنس، والتغيير الجذري لمفهوم الزواج، والقتل الرحيم...، الخ. وهذا الانحدار لا يبدو أنه أوشك على التوقف.

ويقول "مايكل دينتون"، عالم الأحياء المجهرية، وهو غير مسيحي، في نقده العلمي الشهير لنظرية النشوء والإرتقاء (أو التطور) الذي أصدره في عام 1985: "ربما تكون النظرة "الداروينية" للطبيعة هي المسؤولة أكثر من غيرها عن الإلحاد والنظرة التشككية السائدة في القرن العشرين." هذه نظرة مخضرم كان يومًا من الملحدين. ولكن الشك وما نتج عنه من رفض للإنجيل والمبادئ المسيحية لم يبدأ بظهور داروين بل كانت هناك بوادر أزمة من قبل ظهوره.

"إرنست ماير" عالم الأحياء الراحل بجامعة هارفارد، وهو أحد المشاهير من الملحدين والمؤمنين بمذهب النشوء، أوجد الرابطة التي غابت عن الكثير من المسيحيين، وهي أن ثورة (داروين) قد بدأت عندما بدا

واضحاً للجميع أن نشوء الأرض كان أقدم من الستة آلاف عام المتعارف عليها. هذا الاكتشاف كان بمثابة الكرة الثلجية التي تزداد تضخماً كلما تدحرجت منحدرةً. بينما لم تكن فكرة التغيير عبر ملايين السنين اكتشافًا علميًا بل شيء مُخترع راسخ في إدعاءات من هم ضد الكتاب المقدّس في أفكارهم المتعلقة بالماضي، فنحن نتفق على أن رفض التسلسل الزمني للكتاب المقدّس يؤثر سلبًا على سلسلة تتابع الأحداث.

و يا لها من مفارقة قوية إذ أن العبارة المذكورة أعلاه قيلت على لسان أحد طلبة جامعة هارفارد الذي كان يحمل شعار **(الحقيقة من أجل المسيح وكنيسته Veritas pro Christo et Ecclesia)** في وقت سابق. إن جامعة هارفارد جامعة أمريكا الأولى (أُنشأت في عام 1636) وكان لا بد للمتقدمين إليها أن يكونوا على دراية باللغتين اليونانية واللاتينية حتى يتمكنوا من دراسة الكتاب المقدّس على نحو أفضل. خلال المائة سنة الأولى لها كان أكثر من نصف الخريجين فيها قد أصبحوا من القساوسة. كذلك تشهد معظم الحقائق المحزنة أن معظم المؤسسات في الغرب التي كانت متمركزة على المسيحية، كجامعة هارفارد، بدأت تتشرب روح العصر من الحداثة – روح مضادة لكل ما هو فوق الطبيعي، تعتمد على دراسة التاريخ الجيولوجي للأرض، وأساسها العقيدة القائمة على نظرية التطور – وهذا ما أثر على مناهجها وأخيراً قتل نظرتهم للكتاب المقدّس وزعزع إيمانهم. ولمحة سريعة على شريعة تأسيس أقدم وأعرق مؤسسة تعليمية في الأمة الأمريكية توضح لنا الصبغة التي كانوا يصطبغون بها، وهي الصبغة المسيحية البحتة. وكانت أول مائة وثمانية جامعة أمريكية، باستثناء إثنتين فقط، جامعات مسيحية ذات هدف مشترك هو تدريب الطلاب بدرجة عالية ليكونوا أكفاء لربح العالم للمسيح. أما اليوم فقد أصبحت معاقل لمعاداة المسيحية وأصبح من الصعب على مؤسسيها أن يميزوها.

إذا أخذنا بعين الاعتبار ذلك الدرب الطويل المتعرج في محاولة التسوية بين الفرقتين، فنحن نضع المسألة أمام القارئ ليفكر مليًا في الآتي: ما هي المجازفة التي تخوضها المؤسسات التعليمية عند توظيفها لأحد المنحازين لنظرية التطور ونظرية التاريخ الجيولوجي للأرض ليلقى بهذه الأفكار الفلسفية في عقول تلاميذه على مدار المنهج الدراسي؟؟ كم من مؤسسة سمعت أنها انجرفت وراء تيارات منحرفة؟؟ ومع استمرار المؤسسة التعليمية على هذا المنوال يتوالى ظهور الطوائف. فالطائفة البروتستانتية المتحررة كانت يومًا أرثوذكسية متشددة تعتقد في إلهام وعصمة النص الإلهي، ومعجزات الكتاب المقدّس، وموت يسوع الكفاري، وصعوده جسدياً إلى السماوات. لكن التاريخ يشهد أن السقطة بدأت بالاستغراق في الافتراضات الفلسفية للطبيعة (من المؤمنين والملحدين على حد سواء) من خلال نظريات النقد ودراسة جيولوجية الأرض القديمة.

ويعتقد مؤلفو هذا الكتاب أنه لا حقيقة علمية تُفسّر بطريقة صحيحة تتعارض مع ما ورد في سفر التكوين. لقد أوضحنا أن الكتاب المقدّس (رسالة الله الخاصة) يُعلّمنا أن الخليقة تكشف لنا عن وجود الله وبعض-إن لم يكن كل-سماته. وهذا الإعلان العام (الخليقة) هو إظهار لحقيقة الله وليس كل ما يكتشفه العلماء من هذه الخليقة هو إظهار لهذا الوحي، وليس كل ما يصدّق عليه معظم العلماء يقع تحت هذا المسمّى أيضاً. لا يُعلّمنا الكتاب المقدّس أنه من خلال الإظهار العام لله (الخليقة) من دون الرجوع لأي مصدر من الوحي الخاص يمكننا الوصول لإطار زمني للخلق أو الطريقة التي استخدمها الله لإحضار الخليقة للوجود.

أو النص الإلهى وحده يوفر العوامل الوقائية لتفسير الكتاب المقدّس **Sola scriptura**

ونظرتنا لعملية الخلق وليس العكس.

ونحن ندعم، بقوة، إصرار J.I.Packer's على أن المؤمنين بعصمة الكتاب المقدّس لا بد لهم والالتزام المسبق بتصديق الحقيقة القائلة بإن الكتاب المقدّس كله موحى به من الله ونافع للتعليم والدراسة. ينبغى علينا أن نقارن نصوص الكتاب المقدّس ببعضها وأن نفسّرها بحرص وضمن سياقها بحثاً عن القصد والغرض من وراء كتابتها وأن يكون هناك التزام مسبق للالتزام بهذه التعاليم. ولو فُسرت النصوص بطريقة صحيحة فإن النتائج ستكون بمثابة العدسة التي تحكم على كل شيء آخر بما في ذلك إرادة الله من حياتنا. ولو لم تفسر بطريقة صحيحة فمن أين لنا أن نجزم بأن معجزة ما قد حدثت في المكان والزمان؟ وبالدراسة المتوازية للعلم والكتاب المقدّس سيتضح لنا أن سفر التكوين هو توضيح وتنقيح لفكرة الخلق عند الله.

وأية إعادة تشكيل لتاريخ الكون الذي نعيش فيه تتعارض مع حقائق الكتاب المقدّس يجب الحكم عليها بأنها خاطئة. ولكن عندما ندرس العالم المخلوق من كائنات حية وصخور ونجوم داخل إطار الكتاب المقدّس فإن ما نراه يصبح له معنى. يمكننا بسهولة أن نلاحظ في علم الأحياء أن الله قد خلق بالفعل النباتات والحيوانات لتتكاثر وتثمر كأجناسها وليس لكي تتحول لأنواع أخرى. وتستطيع عقولنا تمييز الحقيقة العلمية التي تتسق مع حدوث الطوفان. باستخدام الافتراضات المستمدة من الكتاب المقدّس يمكننا تحديد سمات التصميم والذي يشير إلى حقيقة مادية وهي أن العالم تاريخ نشأته قريب. وفي التمسك بهذه الافتراضات الكتابية نجد أن عقاب الله واضح طوال عملية الخلق وهو ما يتفق مع تحفظات المصلحين بأن الأشياء الموجودة الآن لم تكن على شكلها الحالي قبل ذلك.

لقد أوضحنا أن التعليم القويم للكنيسة ينص على الحقيقة التاريخية القائلة بإن الأرض فتية. لمدة 1800 سنة ظلت الحقيقة العالمية القائلة بأن الله قد خلق العالم في ستة أيام حرفية وكان هذا منذ 6000 عام مضت وأن الله قد أفنى العالم بالطوفان في أيام نوح. ولكن في القرن التاسع عشر ظهر الكثير من الجيولوجيين وعلماء الفلك، مؤمنين وملحدين، ملقين بسهامهم من افتراضات ضد الكتاب المقدّس، مستعدين للمضي فى نظريتهم القائلة بقدم الكون إلى مستوى آخر. كانت هناك أصوات معارضة بالتأكيد ولكن عندما فُتحت الجرة داخل الكنيسة بدأ المؤمنون يعتنقون نظرية اليوم الحقبي وأن الطوفان لم يكن حدثًا عالمياً بل محليًا ومبادئ أخرى غير ظاهرة من خلال قراءتهم (لدراسة الطبيعة) من سفر التكوين 1-11. فمن يستطيع حساب الضرر الواقع على العالم المسيحي؟

لقد كانت تكلفة إدراج ملايين السنين في الكتاب المقدّس باهظة جدًا. أولًا: كان علينا أن نتجاهل الكثير من التفاصيل التي ذكرت في سفر التكوين وفي مواضع أخرى، كما ناقشنا في هذا الكتاب. ثانيًا: كان علينا أن ننكر ونتجاهل هذه التفاصيل وإلا اضطررنا لقمع ومخالفة التعاليم الواضحة للسيد المسيح ورسله. ثالثًا: من خلال إدماج أفكارنا مع نظرية التاريخ الجيولوجي للأرض يتم تقويض تعاليم الكتاب المقدّس المختصة بنشأة الموت. رابعًا: يتم تشويه صورة الله من خلال فكرة لا يمكن الهروب منها وهي أن الشر الموجود الذي نراه في العالم قد قال الله عنه إنه "حسن جداً". خامسًا: تقابلنا العديد من الألغاز الشائكة، وليس أقلهم أن الخالق (كلّي القدرة) لم يتمم عمله خاليًا من الموت أو الفساد (فالموت كان ضمن الأشياء التي قال عنها "حسن جدًا") .. إذاً فما هي ضماناتنا أن الأرض الجديدة والسماء الجديدة ليست خالية من الفساد؟ لماذا نثق في حديث الكتاب المقدس عن اليوم الأخير ولا نصدقه في حديثه عن الخلق؟ وأي كان مدى صدق الدوافع أو مدى تداعيات الموقف فإن ربط نظرية التاريخ الجيولوجي للأرض بالكتاب المقدّس يقوض في نهاية المطاف إنجيل يسوع المسيح، المتأصل في التاريخ الحرفي لسفر التكوين، كذلك يقوض الأمل الذي يحمله الكتاب المقدس وهو الحياة الأبدية حيث لا يوجد شر فعلي ولا معنوي.

ونحن على اعتقاد بأن الجدال القائم يعرض علينا أسباب كتابية مقنعة تجعلنا نصدق على صحة الكنيسة خلال قرونها الثمانية عشر الأولى. والمصادر المذكورة في الملحق تتضمن دلائل علمية تثبت هذه الأفكار، ونحن نحث القارىء على الإطلاع عليها.

فى عام 1990، في ندوة حول موضوع المسيحية والعلم بجامعة "ويتون"، قام "دايفيس يونج" بمداخلة مذهلة. بصفته مؤيد لنظرية اليوم الحقبي (مع كونه من مؤيدي نظرية الأرض القديمة)، أعرب عن أسفه لوجود "عقبات في النص الكتابي تمكن مؤيدي نظرية اليوم الحقبي من التغلب عليها بسهولة" وقد اعترف صراحةً "بأسفه على التشوهات النصية منذ عدة سنوات" وقرر المضي قدماً دون المزيد من الإحراج لنفسه. لقد نظر إلى الذين يدفعون بقوة إلى المواءمة بين الكتاب المقدّس ونشوئية الأرض القديمة نظرة تفاؤل، كمن يلجأ للـ"حيلة المعتادة"، و"مناوراته الجمبازية للتحايل على التفسير" تلك التي سببت "أضرارًا في الجهاز العضلي للاهوت". لقد أعلن أنه لا يود الاعتراف بذلك ولكن تلك المحاولة للمواءمة قد باءت بالفشل، وبالرغم من عبقرية كل الخطط كما يبدو فإن الواحد قد يصعق من حقيقة أن كل تلك المزاعم مدسوسة. ومع كل هذه الاعترافات بسوء تناول كلمة الله، قد يظن البعض أن "يونج" من أنصار عقيدة خلق الأرض الفتية (حديثة العهد). ولكن مع الأسف فقد ذهب إلى ما هو أبعد من النصوص الكتابية. فقد خَلُصَ في محاضرته بجامعة ويتون (ومن الواضح أن هذه هي أفكاره حتى الآن) أن الأصحاحات من 1- 11 من سفر التكوين قد تعبر عن التاريخ بطريقة غير واقعية.

السياق الذي وردت فيه تلك العبارات هي هنا. " أن نظرية اليوم الحقبي تصر على وجود بعض الأشكال المقبولة ظاهريًا على الأقل على أن أيام الخلق هي فترات طويلة غير محددة الأمد، بالرغم من ان السياق يتضمن المصطلح "يوم" الذي يعني يوم حقيقي. ... كان هناك العديد من الصعوبات في النص الكتابي التى تمكن أصحاب نظرية اليوم الحقبي من تخطيها بسهولة...". بعد دراسة العديد من الأمثلة التي توضح التناقض فى ترتيب الأحداث بين الإصحاح الأول من سفر التكوين وتاريخ نظرية التطور وقد استكمل حديثه قائلاً " إن هذه التناقضات برغم وضوحها إلا إنها فشلت في ثني إرادة المسيحيين، بمن فيهم أنا، بسبب الضغط المتواصل على النص الكتابي ليعني شيء أخر غير ما يعنيه. في حالتي، اقترح ان الأحداث قد تداخلت، بعد أن تبرأ من تلك التشوهات في النص الكتابي منذ عدة سنوات، سأستمر في حياتى دون أن أعرض نفسي لمزيد من الإحراج.

هذه الأفكار التي تتحدى المنطق كونها "تاريخ لا يستند إلى حقائق" هي ثمرة قبول (يونج) لـ (حقائق جيولوجية هي في الحقيقة تفاسير تستند إلى افتراضات فلسفية، موحدة الشكل، طبيعية المنهج، مناهضة لتعاليم الكتاب المقدّس، تلك التي استقاها خلال فترة تدريبه الجامعي (أو " فترة غسيل المخ" كما سماها ديريك أجير) التي تلقاه على أيدى علماء جيولوجيا من أصل علماني يدعم نظرية التطور... ومع كامل الأسف للكنيسة، فإن معظم دارسي الكتاب المقدّس قد صدقوا على كتابات (يونج) بسبب شهاداته في الجيولوجيا وربما أيضًا بسبب كونه ابنًا لأحد أكبر دارسي العهد القديم إ.ج. يونج فكانت النتيجة عدم تصديق هؤلاء اللاهوتيين للكتاب المقدّس في حديثه عن عمر الأرض، وما علينا فقط أن نرجوه هو أن يعلم هؤلاء أن نظرية الأرض الفتية (حديثة العهد) ليونج لا يقلها أهمية نظريات الجيولوجيين الحاصلين على شهادات الدكتوراه المذكورة كتبهم واسطواناتهم في الملحق.

في السنوات الأخيرة ازدهرت حركة التصميم الذكي للأرض Intelligent Design Movement في الكنائس. معظم الكتب التي أَلفها رواد هذه الحركة قام بنشرها تابعين للكنيسة الكتابية المحافظة وقام بقراءتها الكثير من مرتادي الكنائس. ونحن نقدر بشدة حجج حركة التصميم الذكي للأرض التي تكشف عيوب نظرية التطور "الداروينية" والتحليل المتطور الذي يمكننا من تحليل التصميم في الطبيعة (على عكس التحليل الذي يعتمد على الوقت والانتقاء وقوانين الطبيعة). تلك الحجج التي دعمت كثيراً حجج التصميم الذكي للأرض وهي الحجج التي استخدمها أصحاب نظرية الأرض الفتية (حديثة العهد) في جدالاتهم على مدار عشرات السنين قبل وبعد ظهور حركة التصميم الذكي للأرض.

كما نقدر أيضاً اهتمام حركة التصميم الذكي بكشف تأثير الحركة الطبيعية في نظرية داروين. إن الفيلم الاستفزازى لـ(بين ستاين) الذي ظهر في عام 2008 باسم (expelled = الطريد) يوضح أن الجدال بين "التطور مقابل الخلق أو التصميم" هو جدال على كافة المستويات ولا يقتصر فقط على جدال "الدين مقابل العلم". ونحن نعتقد أن (expelled) هو مساهمة قوية وسيفتح الطريق أمام عقول الناس ليفهموا طبيعة المعركة القائمة. لذا فإننا سنستكمل حفاوة ترحيبنا واستخدامنا لكل ما تنتجه حركة التصميم الذكي للأرض وسندعمها بقوة للدخول في هذه المعركة. وبقولنا هذا، لا بد وأن نسلط الضوء على اهتماماتنا حول التأثير الذي تجلبه حركة التصميم الذكي للأرض على الكنيسة.

وبعد دراسة تقنيات أخرى فاشلة للتوفيق بين سفر التكوين مع جيولوجية الأرض العتيقة، اعترف (يونج) " مع عبقرية كل الخطط الموضوعة إلا إن الفرد لا يسعه إلا أن يصدم لوضوح طبيعتها المدسوسة. وبالرغم من أن التفاسير قد بينت مرونة واضحة، أظن انها قد سببت أضرارًا للكيان الإلهي. فتفسير سفر التكوين (من الأصحاح الأول للأصحاح الحادي عشر) كتاريخ حقيقي لا يتماشى مع الصورة الدخيلة للتاريخ الأول للكون والبشرية التي توصلنا لحلها من خلال البحث العلمي.المساومة على النص الكتابي لا يبدو انه يتماشى مع البيانات العلمية ... فالكتاب المقدّس قد يكون يعرض التاريخ بأسلوب غير واقعي." ديفيس يونج

أولاً: نعتقد من قراءاتنا وخبراتنا أنها اثرت على المسيحيين وقللت من نظرتهم للكتاب المقدّس في موضوع عمر الأرض، وهذا ما دعاهم إلى جعلهم يظنون أن الكتاب المقدّس ليس واضحًا في تعاليمه كوضوح العلم. إن الكتب التي تصدرها حركة التصميم الذكي للأرض قد تحتوي على إشارات عامة للكتاب المقدّس ولكن في معظم الأحيان تكون إشارات ثانوية أو لإثبات صحة الرسالة النصية من دون الانخراط بجدية داخل التفاسير المتعلقة بعمر الأرض، خصوصاً في سفر التكوين. كذلك العديد من قادة الحركة يحاضرون تحت المظلة المسيحية (كنائس وجامعات ومعاهد مسيحية والبرامج التليفزيونية والإذاعية المسيحية،...الخ). في ظل هذه الأوضاع فإنهم كثيراً ما يتجاهلون سفر التكوين (أو على الأقل قراءته من وجهة نظر طبيعية) لأنهم يدعمون نظرية الأرض القديمة. وهذا لا يدعو للدهشة إذ أن الكثيرين من أعضاء هذه الحركة ليسوا من اتباع الكنيسة المحافظة وليسوا بالضرورة مسيحيين. والأساس الفكري لقادة حركة التصميم الذكي للأرض، المعهد الاستكشافي the Discovery Institute أساس صريح قائم على أنه لا توجد قيود دينية.كان من الممكن ألا توجد مشكلة في تجاهلهم للنصوص الكتابية لو لم يكن الكتاب المقدس قد ذكر شيئاً عن علوم الأرض والكونيات وتاريخ خلق الأرض. ولكنه قد ذكر. ولا يوجد عذر لأي مؤمن حقيقي في تجاهل الكتاب المقدّس أو في دراسته السطحية فيما يختص بهذا الموضوع.

ثانيًا: بينما ينجح رواد هذه الحركة في تسليط الضوء على التأثير القوي للفلسفة الطبيعية على علم الأحياء، يقومون بتجاهل هيمنتها على الجيولوجيا وعلم الفلك، وهذا هو السبب الرئيسي وراء اتجاه أنصار حركة التصميم الذكي للأرض إلى التصديق بفكرة التغيير عبر ملايين السنين كحقيقة علمية. ولكن كما أشرنا، فإن المذهب الطبيعي سيطر على العلوم الجيولوجية وعلوم الفلك قبل أن يتجه للعلوم البيولوجية، من خلال نظريات داروين، بأكثر من خمسين عامًا. في الواقع، فإن هذه السيطرة على العلوم الجيولوجية وعلوم الفلك قد مهدت لظهور هذه الهيمنة على العلوم البيولوجية، ومن ثم أصبحت الركيزة الأساسية لتطور أى مجال من المجالات العلمية. لذا فإن زمن وتاريخ الخليقة يضرب وبشدة في قلب العلم من خلال المذهب الطبيعي الفلسفي. وكتمثيل لنظرية التطور، فإنها كحبل مصنوع من ثلاثة أوتار لا يمكن الفصل بينهم: التطور الإحيائي (نشأة وتاريخ تطور الحياة)، والتطور الجيولوجي (نشأة وتاريخ تطور كوكب الأرض) والتطور الفلكي (نشأة وتاريخ تطور الكون والأجرام السماوية). لا يتعامل المسيحيون على نحو كاف مع نظرية التطور ولا مع المذهب الطبيعي الفلسفي إذا كانوا لا يدركون هذا ويتعاملون مع الكتاب المقدّس فيما يختص بتاريخ الخلق.

ثالثًا: لأن حجج حركة التصميم الذكي للأرض قائمة على التصميم، لا يبدو أنهم يقدرون الأهمية اللاهوتية لنشأة الشر الذي نراه في العالم، وعندما يتطرقون إلى هذه المشكلة لا يبدو أنهم يردون بإجابات كافية من الكتاب المقدّس وحديثه عن السقوط. لطالما أشار مؤيدو نظرية التطور إلى الأمراض والتشوهات وكل الكوارث الطبيعية إلى خلاصة أنه إذا كانت هذه أعمال (المصمم = الله) فإنه سادي. هذه الأفكار قديمة قدم داروين، ففي عام 1856 بعث "داروين" برسالة إلى "جوزيف هوكر" قائلاً: "يا له من كتاب قد يكتبه كاهن تابع للشيطان عن أعمال الطبيعة الخرقاء المدمرة المتخبطة". إلا إذا اقتنعنا بما يقوله سفر التكوين عن تلك الخليقة الكاملة التي لا يوجد فيها موت لحيوان أو انسان وما يقوله عن التأثير السلبي الذي جلبته الخطية

الأولى لآدم على الكون. إذاً فنحن لا نقدم الفلسفة الكاملة لحل مشكلة الشر من الكتاب المقدس للاعتراض الأكثر شيوعًا على الإيمان المسيحي (بمعنى آخر، كيف يكون هناك إله محب في ظل وجود الموت وكل هذه المعاناة والشر الطبيعي (البراكين والزلازل وموجات المد البحري (تسونامي) في العالم؟)

رابعًا: لا تشكل حجج الحركة بديلاً لنظرية نشأة الأرض القديمة لأن فرضيات حركة التصميم الذكي للأرض لا تستند إلى تاريخ. وحتمًا تظهر الأسئلة التالية: متى قام (المصمم) بهذا العمل الإبداعى؟ وهل خلق كل شيء في حركة واحدة؟ وإن يكن .. متى حدث هذا؟ وإن لم يكن، فما هو الترتيب الذي خلقت به الأشياء؟ وكم من الوقت كان بين كل خليقة والأخرى؟؟ هل قام (المصمم) بخلق خلية بسيطة واحدة ومنها خرجت كل الحيوانات والنباتات بمساعدته وعنايته أو بدونها؟؟ أم قام (المصمم) بخلق أنواع منفصلة من النباتات والحيوانات في شكلها النهائي؟؟ بدون حتى أن يقتربوا من الحل فشلت حجج حركة التصميم الذكي للأرض في تقديم الحقيقة الكاملة لأصحاب نظرية التطور. ونحن نُسلّم بأن البديل الوحيد لنظرية التاريخ الجيولوجي للأرض هو في تقديم النظرة الكتابية الكاملة للخلق وتاريخه.

خامسا: بينما تشير الخليقة تحديداً لوجود خالق، و تشير إلى أكثر من ذلك، تبعاً لأقوال الكتاب المقدّس فهي تشير إلى إله (رسالة بولس إلى أهل رومية 1 : 18-20) يحاول رواد حركة التصميم الذكي للأرض إما التقليل من هذه الحقيقة أو إنكارها كليًا وذلك هو السبب وراء أن النشوئيين (غير المتبصرين روحيًا) لا يزالوا يتهمون أتباع حركة التصميم الذكي للأرض بأنهم مجرد صورة خفية لنظرية خلق الأرض الفتية (حديثة العهد). في الواقع إن معظم رواد حركة التصمميم الذكي للأرض معارضون بقوة لنظرية الأرض الفتية (حديثة العهد).

وينبثق من تلك النقطة السابقة نقطة أخيرة وهي: إن معظم حجج حركة التصميم الذكي للأرض لا يمكنها أن تقود للاعتقاد في (مصمم ذكي) يُعرف بصعوبة. ووفقاً ل "مايكل بيهى"، أحد رواد الحركة، إن حجج التصميم وحدها لا تمنع من أن يكون الخالق مجموعة من الكائنات الفضائية. بينما يوضح الكتاب المقدّس أن الخليقة تحمل شهادات واضحة على وجود إله حي حقيقي خالق السماوات والأرض. لذلك تسعى حركة التصميم الذكي للأرض إلى إغفال الكثير من الأدلة (التي تشير إلى قداسة الله وعدله وعقابه، بجانب حبه وحكمته وقوته). ونتيجة لذلك يوجد الكثير من الغرباء التابعين لحركة التصميم الذكي للأرض منهم: الربوبيين، الوجوديين والتابعين من كل الأنواع.

وهذا المنهج القائل بالنظر للتصميم الكوني واستخدامه كحجة للدفاع عن وجود إله (مهما كانت درجة تعريفه مبهمة) كان يسُتخدم في عام 1800 في إنجلترا من قبل المسيحيين والربوبيين القائلين بقدم الأرض عن التاريخ المذكور في الكتاب المقدّس.

تلك الحجج قد فشلت فشلاً مذرياً في تحويل غير المؤمنين للإيمان، وفي وقف انحدار الثقافة بعيداً عن المسيحية المستندة على الكتاب المقدّس في اتجاهها للإلحاد. ونحن نعتقد أنها فشلت على وجه التحديد لأن النظريات اللاهوتية كانت غامضة وكانت كل التحليلات المتعلقة بالفرضيات الفلسفية المتعلقة بجيولوجية الأرض القديمة والنظريات الفلكية المختصة بنظرية الكون القديم تحليلات جوفاء تفتقر إلى السند الكتابي.

لذا فإن حجج حركة التصميم الذكي للأرض لا تقود بالضرورة للإيمان بالمسيح، وحتى لو فتحت المجال أمام التفكير بوجود إله وتوصلنا إلى أن هذا الإله هو المسيح، فستبقى مشكلة الصراع حول تصديق سفر التكوين لأنه من الوارد جداً أن تكون هناك تفسيرات مجهزة مسبقاً متاحة ليؤمن بها فقط. وإن كان معلموه قد نأوا بأنفسهم عن "القراءات المنقسمة لسفر التكوين" فمن أين له أن يستقي المنهج التفسيري للكتاب المقدّس؟ من المرجح أن يتبقى عنده مشاعر ثابتة نحو مؤلفي حركة التصميم الذكي للأرض وكتبهم التي ساعدته في الوصول لحقيقة وجود (مصمم). وعلى النقيض، فإن فالكثير من الناس (وحتى عدد قليل من العلماء) قد آمنوا بالمسيح، والمسيحيون قد رجعت إليهم ثقتهم في سفر التكوين من خلال شروحات أصحاب نظرية خلق الأرض الفتية (حديثة العهد) التي توفق بين الحجج العلمية والدينية.

نحن ندرك استراتيجية حركة التصميم الذكي للأرض في التعامل مع الماديين على المستوى العلمي فقط، لأنه (كما يزعمون) الماديون لن يقبلوا الحقيقة القائمة على الكتاب المقدّس. و لكن أصحاب نظرية خلق الأرض الفتية (حديثة العهد) يعرفون جيداً كيف يناقشون الأدلة العلمية فقط في محافل عالمية كمحاضرات أو مناظرات في جامعات أو مدارس عامة. كان الكثير من أنصار نظرية خلق الأرض الفتية (حديثة العهد) يقومون بذلك قبل ظهور حركة التصميم الذكي للأرض. وبالرغم من علمانية المجالس، إلا إنهم قد لاحظوا أن معظم غير المؤمنين منفتحين ومهتمين بمعرفة ما يقوله الكتاب المقدّس فيما يختص بهذا الموضوع حتى لو لم يكونوا مؤمنين بأنه كلمة الله المُوحى بها. نحن لا نطلب من غير المسيحيين أن يقبلوا كلمات الكتاب المقدّس دون مناقشات دفاعية، ونحن أيضاً لا نخفي أو نخجل من بدايات الكتاب المقدّس. بل بالحرى نعرض الأدلة العلمية التي تؤيد الكتاب المقدس وبقوة تماماً كما كنا نتوقع بما إن الله قد أوحى بالكتاب المقدّس وهو العليم بتاريخ الخلق. ومع ذلك فإن الحديث في تلك المسألة مع المسيحيين (على سبيل المثال في الكتب والكنائس والمعاهد الدينية، أو الكليات الخاصة بتدريس الكتاب المقدّس) كما يفعل بعض رواد حركة التصميم الذكي للأرض، فإننا لا بد أن نساعد المؤمنين على استيعاب ما يقوله الكتاب المقدّس حول قصة الخلق بالكامل.

ولدى رواد حركة التصميم الذكى للأرض وجهة نظر، وهي ما أطلق عليه جونسون (the wedge Strategy استراتيجية الإسفين).العقل يقول إننا إذا قمنا بتفكيك النموذج التطوري في علم الأحياء و جعلنا علماء الأحياء يقبلون مبدأ المصمم الذكي، سيمكننا ذلك في وقت لاحق من التعمق في موضوع ماهية الخالق وتاريخ الخلق. إذا تمكننا من إدخال الإسفين في الشق وأحدثنا فتحةً كبيرةً فستقع كل السجلات، وهذا ما نرجوه.

ولكننا نحارب هذه الفكرة لأنها وجهة نظر خاطئة. يقول الكتاب المقدّس عن الناس الذين ليسوا على علاقة جيدة مع الله إنهم يزيفون الحقيقة في جهل (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 1 :18-20). أغلبية العلماء لن يؤمنوا عن طريق نظريات التصميم الذكي، لأن في النهاية، هذا أمر روحي وجدل عالمي وليس مناظرة علمية. ومن ناحية أخرى، في خضم هذه المحاولات الطويلة وغير المثمرة في محاولة إقناع العلماء باعتناق نظرية التصميم الذكي للأرض، ما هو عدد المؤمنين الذين سيفقدون الثقة في الكتاب المقدّس وسيمتثلون للنظريات الطبيعية نتيجة لقبولهم نظريات القدم في علوم الأرض والكون؟ وما هو عدد غير المؤمنين الذين لن يؤمنوا بالكتاب المقدّس (ورسالة المسيح) ويموتون في خطاياهم (خسارة الحياة الأبدية) لمجرد أن علوم الأرض والعلوم الكونية أثبتت أن الأصحاحات الأولى من سفر التكوين ما هي إلا خرافة؟

لا بد أن تتبدل العلوم الإلحادية بالعلوم الوجودية أو المؤمنة (بالرغم من شكنا في هذا). ولكن النظرة العالمية للكتاب المقدّس ونموذج الخلق لن تقبلهما الأغلبية. ومهما كانت قوة منطقنا وأدلتنا العلمية، فإن معظم الناس لن يقتنعوا بها، ليس عن قناعات عقلية بل لأسباب روحية وأخلاقية. وأولاً وأخيرًا المعركة روحية. وهذا ما يجب أن نخلص إليه إن كنا نأخذ تعاليم الكتاب المقدّس عن الله وطبيعة الإنسان ونظام الكون على محمل الجد.

"ستيفن جي جولد"، الأستاذ السابق بجامعة هارفارد وعالم الجيولوجيا وعلم الحفريات، وهو مناهض للنشوئية، قد لخص التطورات الأولى للجيولوجيا وتأثيرها على التفسيرات الكتابية كالآتي:

> عادةً ما نجد أن المصادر غير الكتابية، سواء كانت من الطبيعة أو من التاريخ، تكتسب معناها الحقيقي من خلال توافقها مع الكتاب المقدّس، أما الآن فقد اختلفت الأحوال، فأصبحت النصوص الكتابية تكتسب معناها الحقيقي من خلال إطار المعلومات غير الكتابية. بهذه الطريقة أصبحت معرفة الحقيقة والمعاني الدينية التي تحملها النصوص الكتابية مقيدة باعتبارات كثيرة لا دينية... على الأقل في أوروبا، إن لم يكن في أمريكا أيضًا. فعلماء الجيولوجيا هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم مسيحيين، غالباً ما يقبلون الاتجاه الجديد للنقد الكتابي، ومن ثم فإنهم يشعرون بأن عمر الأرض شيء لا علاقة له بمعتقداتهم الدينية.

وفي النهاية، يبقى على المحك في هذا الجدل المختص بعمر الأرض وضوح وسلطان الكتاب المقدّس. لأنه وبكل بساطة لا يُعلّمنا الكتاب المقدس عن اليوم الحقبي ولا التطور التدريجي ولا عن طوفان محلي، بل يُعلّم وبوضوح عن ستة أيام حرفية، وعن خلق معجزي حدث منذ آلاف السنين، كما يُعلّم بحدوث طوفان عالمي غيّر شكل الأرض تغييرًا جذريًا، مدمرًا مليارات النباتات والحيوانات والبشر، كما يذكر الكتاب المقدّس في سفر التكوين في الثلاثة أصحاحات الأولى، و كما ذكر بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية (8 : 19-23) وفي مواضع أخرى كثيرة أن الله عندما انتهى من الخلق رأى كل الأشياء (حسنة جداً) وخالية من الموت والفساد. كذلك شهادات الكتاب المقدّس عن صلاح وحكمة وقوة وعدل وصدق ونعمة الله تجعل من الصعب علينا أن نصدق أن الله خلق وأفنى عددا لا يحصى من الأنواع على مدار ملايين السنين قبل خلق الإنسان الذي كان من المفروض أن يكون مسيطرًا على الخليقة التي مات منها الكثير (إذا أخذنا بوجهة

النظر هذه) قبل ظهور آدم على الساحة. لا يوجد ما يؤكد هذه الفكرة من النصوص الكتابية. ولندعم هذه الفكرة علينا وضع قناع من عدم الكفاءة والشر بل والسادية على الله.

فهل بعد كل هذا، نفسر النص الكتابى بما يماثله من نص كتابي؟ أم نستخدم نصوص علمية من خارج الكتاب المقدّس؟ هل نصدق كلام الله الذي كان شاهداً على عملية الخلق وأيام الطوفان والعالم بكل ما فيه، الذي ألهم أشخاصًا ليكتبوا الإنجيل وحفظهم من الخطأ أثناء كتابته، كما حفظ اليهود الذين كتبوا العهد القديم، وآباء الكنيسة والمصلحين ومسيحيي اليوم، كيف لهم أن يُعلّموا الحقيقة حول الخليقة وكيف خُلقت وكيف وصلت إلى شكلها المعروف الآن؟ أو هل سنضع ثقتنا أكثر وأكثر في كلام العلماء، الذين لم يكونوا موجودين منذ بداية الخلق، غير العارفين بكل شيء، الذين يخطئون باستمرار (السبب الذي يجعلهم يراجعون كتاباتهم مرارًا و تكرارًا)، الذين منهم الكثيرون ممن يعادون الله، محاولين شرح العالم بدون إله لذلك فهم لا يشعرون بأي واجب أخلاقي تجاهه؟

منذ سنوات قليلة، قام واحد من محرري هذا الكتاب بمقابلة سرية مع أحد المشاهير من رؤساء المؤسسات المسيحية. أراد هذا القائد الديني الشهير أن يعرف من المحرر لماذا يعتبر مسألة عمر الأرض مسألة هامة. بعض النقاط التي ناقشها هذا الكتاب قد وردت في هذا النقاش. في نهاية هذا النقاش قال هذا القائد الديني: "أنا أومن بالله وبقدرته على فعل أي شيء. أومن أنه يمكن أن يخلق في 6 ثوانى أو في ستة أيام، أو في ستة ملايين سنة." قد يبدو للوهلة الأولى أنه إعلان عن إيمان قوي. ولكن الحقيقة ليست كذلك، بالرغم من إخلاص هذا الرجل لله، لأن المسألة ليست حول ما نؤمن أن الله قادر على فعله أو على ما قد فعله. المسألة تدور حول قول الله إنه فعل. لذا فإن السؤال هو هل سنؤمن بما قاله؟ إن كانت النظريات العلمية قد دعت إلى اعتبار تفسيرات لم ترد على خاطر قُرّاء العهد القديم من اليهود، إذاً فماذا ننتظر؟ هل إذا أعدنا تفسير الكتاب المقدّس فيما يختص بمسألة الخلق والسقوط والطوفان، فأين ستنتهي هذه العملية؟ فلماذا إذاً نتوقف عند سفر التكوين؟ ماذا إذاً عن الميلاد العذراوى للمسيح وقيامته من بين الأموات؟ ربما سنبقى مصدقين لهذه النقاط الأخيرة، ولكن هل سيبقى أولادنا وتلامذتنا سواء في المدرس أو في الكنائس مؤمنين بهذه الأفكار بعد موتنا؟

وذُكر أن مارتن لوثر قال ما يلي:

إذا اعترفت بأعلى صوت وأوضح شرح بكل جوانب الحق الإلهي عدا تلك النقطة الصغيرة تحديداً التي يشن عليها حالياً إبليس والعالم هجوماً، فإنني بذلك لا أعترف بالمسيح مهما كانت مجاهرتي في الاعتراف بالمسيحية. حين تحتدم المعركة يظهر إخلاص الجندي، وأن يثبت في كل أرجاء ساحة القتال، في مقابل العار والهوان إذا ما حاول الهروب في لحظة واحدة مهما كان صغرها.

هل سنناضل من أجل الحق الإلهي في هذه النقطة التي تتعرض لأكبر هجوم في الوقت الحالي حول العالم؟ ذلك الهجوم الذي يشن على الخليقة المعجزية الإلهية للعالم، والتسلسل الزمني الكتابي والطوفان. هل سنصدق ونناضل من أجل كلمة الله من أول آية بالكتاب المقدّس؟ يقول الله على لسان النبي إشعياء:

هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «السَّمَاوَاتُ كُرْسِيِّي، وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ. أَيْنَ الْبَيْتُ الَّذِي تَبْنُونَ لِي؟ وَأَيْنَ مَكَانُ رَاحَتِي؟ وَكُلُّ هذِهِ صَنَعَتْهَا يَدِي، فَكَانَتْ كُلُّ هذِهِ، يَقُولُ الرَّبُّ. وَإِلَى هذَا أَنْظُرُ: إِلَى الْمِسْكِينِ وَالْمُنْسَحِقِ الرُّوحِ وَالْمُرْتَعِدِ مِنْ كَلاَمِي. (اشعياء 66: 1، 2)

على مدار القرنين الأخيرين ارتعد الكثيرون في الكنائس من كلمات الدفاعيين عن الزمن القديم. ولكن تاريخيًا نجد أن من عبدوا إله ابراهيم ويعقوب واسحق، أبا ربنا وإلهنا وُمخلّصنا يسوع المسيح، قد أبدوا ولاءهم عن طريق الارتعاد من كلمته. ألعل هذا وقت لفحص النفس والاتضاع والتوبة لك؟ ها قد سنحت لنا الفرصة مرة أخرى لنؤمن بكلمة الخالق. يؤمن المحافظون الكتابيون بأن الوحي المقدّس هو صوت الإله الحي الحكيم الوحيد. ولهذا فإننا نؤمن بأنه تحدث إلينا في سفر التكوين – وهذا أكيد. ولكن هل سنتواضع أمامه ونرفض كل ما يحول دون الارتعاد وتصديق كلمته الصادقة في تكوين 1 – 11، بغض النظر عما يعتقده العالم أو غيرنا من المؤمنين؟ هذا هو السؤال المحوري الذي على كل منا أن يجيب عليه.

-المحرران-

1 Michael Denton, Evolution: A Theory in Crisis (London: Burnett Books, 1985), p. 358. Denton is a medical doctor and PhD molecular biologist from New Zealand.

2 Cf. Milton Millhauser, Just Before Darwin (Middletown, CT: Wesleyan University Press, 1959), chapter

3.

3 Ernst Mayr, "The Nature of the Darwinian Revolution," Science, vol. 176 (2 June 1972): p. 988.

4 For a thorough survey of the de-Christianization of the American universities, see Jon H. Roberts and James Turner, The Sacred and the Secular University (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000).

5 J.I. Packer, "Hermeneutics and Biblical Authority," Themelios, 1 (1975): p. 11.

6 The context of the quoted phrases is here. "The Day-Age hypothesis insisted with at least a semblance of

textual plausibility that the days of creation were long periods of indeterminate length, although the immediate context implies that the term, yôm, for 'day' really means 'day.' . . . There were some textual obstacles the Day-Agers developed an amazing agility in surmounting. . . ." After discussing some examples of contradiction in order of events between Genesis 1 and evolution history, he continued, "This obvious point of conflict, however, failed to dissuade well-intentioned Christians, my earlier self included, from nudging the text to mean something different from what it says. In my case, I suggested that the events of the days overlapped. Having publicly repented of that textual mutilation a few years ago, I will move on without further embarrassing myself." Following an examination of other unsuccessful techniques for harmonizing Genesis with old-earth geology, Young confessed "Genius as all these schemes may be, one is struck by the forced nature of them all. While the exegetical gymnastic maneuvers have displayed remarkable flexibility, I suspect that they have resulted in temporary damage to the theological musculature. Interpretation of Genesis 1 through 11 as factual history does not mesh with the emerging picture of the early history of the universe and of humanity that has been deciphered by scientific investigation. Dickering with the biblical text doesn't seem to make it fit the scientific data. . . . The Bible may be expressing history in nonfactual terms." See Davis Young, "The Harmonization of Scripture and Science," quoted at length in Marvin Lubenow, Bones of Contention (Grand Rapids, MI: Baker, 1992), p. 232–234. Terry Mortenson has the complete lecture on audio CD.

7 See the end of Mortenson's chapter on the historical developments, earlier in this volume.

8 See the movie Expelled for many statements that reflect this fact.

9 Frederick Burkhardt and Sydney Smith, eds., The Correspondence of Charles Darwin, vol. 6, 1856–1857,

(Cambridge: Cambridge University Press, 1990), p. 178.

10 Michael Behe, "The Evolution of a Skeptic," www.origins.org/mc/resources/ri9602/behe.html, updated

February 6, 1999, accessed August 18, 2008. He said this in response to the penultimate question in the interview: "If Francis Crick claimed intelligent aliens not only seeded life but actually designed life that is on the earth, I could not point at a biochemical system and argue against him. I might think it was a little far-fetched, but I would have to go to philosophical or theological or historical arguments to rebut that."

Most of the key players in the IDM personally believe the designer is the God in the Bible, but we are just emphasizing that this is not a necessary conclusion from ID premises, but rather a subjective religious view flowing from factors beyond anything inherent to mere intelligent design.

11 E.g., Ps. 19:1-6, Rom. 1:18–21 and Acts 17:22–31.

12 E.g., "A Testimony: 'Joel Galvin' — Faith Shipwrecked by Compromising 'Christian' Colleges; Restored by Answers in Genesis,"

www.answersingenesis.org/home/area/feedback/joel_galvin_testimony.asp.

13 Phillip E. Johnson, The Wedge of Truth (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000).

14 Cited in Martin, J.S. Rudwick, "The Shape and Meaning of Earth History," in David C. Lindberg and Ronald L. Numbers, eds., God & Nature (Berkley, CA: University of California Press, 1986), p. 306 and 311.

15 This famous statement is quite often quoted, but hardly ever with proper documentation. It can be found in secondary sources like Elizabeth Rundle Charles, Chronicles of The Schönberg-Cotta Family (London: T. Nelson and Sons, 1864), p. 276. Many writers mistakenly attribute the quote to D. Martin Luthers Werke: Kritische Gesamtausgabe, ed. J.K.F. Knaake, et al. (Weimar: H. Bohlau, 1883), Briefwechsel, vol. 3, p. 81f., which expresses only similar sentiments. Cf. Luther's 1523 comment, in the original German, in Briefe, Sendschreiben und Bedenken (Berlin: G. Reimer, 1826), p. 345